«البيان» تفتح ملف تدخلات نظام الملالي في المنطقة والعالم 7

المغرب في مواجهة دائمة مع محاولات الاختراق الإيراني

■ أصابع إيرانية عبثت باستقرار مدينة الحسيمة المغربية | أرشيفية

■ الرباط ـ البيان

ما انفكت العلاقات المغربية الإيرانية تعرف حالات من المد والجزر نتيجة سعي نظام الملالي إلى التدخل في الشؤون الداخلية للمملكة، وفي مارس الماضي اتهمت السلطات المغربية، إيران والمد الشيعي بتهديد الأمن والاستقرار بالمغرب بعد استقطاب آلاف المغاربة وإثارة الاحتجاجات في مناطق مغربية مختلفة خاصة في منطقة الحسيمة، شمال البلاد، التي عرفت منذ بضعة أشهر موجات من الاحتجاجات الاجتماعية.

وقالت مصادر إعلامية في الرباط إن وزارة الداخلية المغربية، وجهت تقارير تتضمن تحذيراً، من اندساس عناصر موالية لطهران في الأوساط الشعبية، وخطورة النفوذ الإيراني بالمغرب، ودوره في بعض الاحتجاجات التي شهدتها البلاد في الآونة الأخيرة.

ووفق صحيفة «الصباح» اليومية، كشفت التقارير عن «حقائق تهدد استقرار المغرب في الوقت الراهن ومستقبلاً، حيث إن المد الشيعي استقطب آلاف المغاربة، واستوطن مدناً جديدة، حتى أن يوجد في «حي سباتة» في الدار البيضاء 40 شيعياً على الأقل، يعملون وفق أجندات إيرانية سياسياً وعقائدياً، في الوقت الذي بلغ فيه عددهم بمراكش أكثر من ستة آلاف وفي الرباط بالمئات، أغلبهم من الأطر العليا».

وأضافت أن خطورة المد الشيعي تتمثل في لجوء المتشيعين إلى التقية لإخفاء معتقداتهم، بل يحرصون على الصلاة بالمساجد، ويتجنبون الخوض في النقاشات المذهبية أمام الملأ، لكنهم ينتظمون في جمعيات وهيئات، وأن نوعية معتنقي هذا المذهب في السنوات الأخيرة تطورت بشكل كبير، حيث من بينهم أطباء بالدار البيضاء ومهندسون من الرباط وتجار كبار في مراكش، علاوة على مدن طنجة ومكناس.

نشر التشيّع

الخبير والباحث في الشؤون الأمنية يوسف العطري حذّر من وجود مخطط إيراني متكامل لنشر التشيع داخل المغرب عبر لاجئين سوريين مدربين من طرف الحرس الثوري الإيراني، واكد في حوار مع موقع «نون برس» أنه ومنذ قيام الثورة في إيران عام 1979، والإعلان عن مشروع الخميني لتصدير هذه الثورة، توجهت أنظار الإيرانيين إلى دول شمال أفريقيا وبالأخص المغرب الذي يحلم أحفاد الخميني باختراقه عبر خلق حواضن وجيوب مذهبية داخله، ومن هنا بدأ التفكير منذ سنوات في البحث عن المدخل الذي يتم عبره التسرب لعمق المملكة ذات التوجه السني المالكي.

وأوضح العطري أن «الحرس الثوري» الإيراني يعقد اجتماعاً سنوياً على مستوى القادة والدبلوماسيين الإيرانيين الذين ينتمون إلى فيلق قدس الحرس الثوري الإيراني ويتم دراسة سياسة الحرس الثوري الخارجية ومراجعتها سنوياً وعادة يتم وضع مشاريع وخطط جديد للعام المقبل لإكمال الخطط والمشاريع البعيدة المدى للحرس الثوري الإيراني في منطقة شمال أفريقيا وبالأخص المغرب.

ويضيف المتحدث ذاته أن الحرس الثوري الإيراني وجد أخيرا الطريقة التي من الممكن أن يتسرب عبرها للمغرب، حيث أصبح يراهن بقوة على قضية اللاجئين السوريين الموجودين بالمغرب لنشر التشيع، لا سيما وأن أعداداً مهمة منهم تنتسب للمذهب الشيعي.

وحسب الخبير الأمني فإن الحرس الثوري الإيراني يسعى لتدريب عناصر سورية ومن ثم الدفع بها باتجاه المغرب بذريعة طلب اللجوء من أجل تنفيذ مخططاتها المرتبطة بنشر التشيع داخل المغرب.

خلافات مبدئية

اعترضت المغرب بقوة على تأييد إيران لـ «جبهة البوليساريو» ودعمها لأعداء الوحدة الوطنية المغربية، ومع بداية الحرب الإيرانية-العراقية ووقوف المغرب إلى جانب العراق، سقطت العلاقات بين البلدين في ورطة كبيرة. وفي 2009، في عهد الرئيس الإيراني السابق محمود أحمدي نجاد، وقعت العلاقات المغربية-الإيرانية بانتكاسة جديدة بإعلان المغرب قطع علاقاته الدبلوماسية مع إيران من جانب واحد، نتيجة تورّط العاملين في السفارة الإيرانية في الرباط في أنشطة نشر التشيّع بين المغاربة، وزعزعة وحدة المذهب الرسمي للبلاد، بحسب الاتهامات الرسمية. فضلاً عن ذلك، كان استدعاء سفير المغرب إلى الخارجية الإيرانية للاحتجاج على بيان وزارة الخارجية المغربية المساند لموقف البحرين تجاه إيران، عاملاً آخر من عوامل استياء المغرب من إيران.

ويشير مراقبون إلى إن نقطة بداية المواجهة العلنية بين السلطات والحركات الشيعية كانت سنة 2008، حين أصدرت الحكومة المغربية قراراً بحل حزب «البديل الحضاري» ذي المرجعية الشيعية. وارتفعت وتيرة المواجهة مع قطع المغرب علاقاته الدبلوماسية مع إيران عام 2009، بعد إعلان المغرب تضامنه مع البحرين إزاء تعرضها للتدخلات الإيرانية السافرة، ولكن لأسباب أخرى أيضاً، أبرزها تورّط سفارة إيران في الرباط في زعزعة استقرار المغرب الديني والروحي، من خلال دعم تحركات الشيعة المغاربة.

نشاط ثابت

إذ أعلنت وزارة الخارجية المغربية في 2009 قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران، بسبب «نشاطات ثابتة للسلطات الإيرانية، وبخاصة من طرف البعثة الدبلوماسية بالرباط، تستهدف الإساءة للمقومات الدِّينية الجوهرية للمملكة، والمسّ بالهوية الرّاسخة للشعب المغربي ووِحدة عقيدته ومذهبِه السُني المالكي، الذي يحميه الملك محمد السادس»، حسبما ورد في نص البلاغ الرسمي. وأصدرت حينها وزارة الداخلية أيضاً بلاغاً أكّدت فيه «حرصها على التصدّي بكل حَزم وفي إطار القوانين الجاري بها العمل، لكل الممارسات المنافية لقيم المجتمع المغربي، ولكل المنشورات والكُتب والإصدارات، التي ترمي إلى المسّ بقيمه الدِّينية والأخلاقية».

وقد ذهب بعض المحللين إلى أن المغرب أراد من قطع علاقته الدبلوماسية مع إيران: «تحذير نشطاء التيار الشيعي في المغرب، الذين بدؤوا يتحرّكون بكامل الحرية وأصدروا جريدة «رُؤى مُعاصرة» تُعبِّر عن مواقف بعض الشيعة المغاربة، التي توقّفت بدورها، ويتّجهون نحو تشكيل جمعيات شيعية، مع أن الدولة لم ترخِّص لهم، كما حدث مع جمعية (أنوار المودّة) في طنجة أو جمعية (اللقاء الإنساني) في وجدة».

نشاط مريب

في دراسته «إيران ودول المغرب: المسألة الشيعية» أبرز الباحث المغربي أحمد موسى أستاذ اللغة الفارسية وآدابها في كلية الآداب بالجديدة والخبير في الشأن الإيراني إن علاقة السلطة في المغرب مع تيار الشيعة اتسمت بالكثير من الحذر، وذلك بغية منع انتشار الفكر الشيعي في المغرب. يأتي هذا بالرغم من هذا التهديد الذي برزت مؤشراته قوية جداً في السنوات القليلة الماضية، من خلال الأنشطة الداعمة للتشيّع التي تورطت في تنفيذها السفارة الإيرانية في المغرب، تحركات السفارة الإيرانية وُصفت ـ آنذاك - بذات «النشاط المريب» بغية تشييع المغاربة، وإخراجهم من المذهب السُني المالكي، وهو الأمر الذي حدا بالمغرب إلى قطع علاقاته الدبلوماسية مع إيران.

طهران تزعزع وحدة الأراضي من بوابة «الصحراء»

■ الرباط ـ البيان

لم تدع إيران من شك في أنها تعمل ضد الوحدة الترابية في المغرب، وفي دراسة حول غزو التشيع لمناطق الصحراء المغربية، رصدت صحيفة «السبيل» المغربية عدداً من محاولات الإعلام الإيراني تزوير الحقائق وفبركة الوقائع، ففي 18 أغسطس 2015 بثت القناة الرسمية الإيرانية «برس تي في» فيلماً وثائقياً قصيراً، بعنوان «نحن متمردون في الصحراء الغربية»، تم تصويره من داخل مخيمات تندوف، ويتضمن شهادات لصحراويين ينددون بما سموه احتلال المغرب للصحراء.

وجاء في التقرير الذي تعمد الإساءة للمغرب، في تحديده لموقع الصحراء والمغالطة بخصوص تاريخها إن: «الصحراء على الحدود مع المغرب، والجزائر، وموريتانيا، والمحيط الأطلسي، هي آخر مستعمرة في أفريقيا تناضل من أجل استقلالها».

وأضاف أن: «الشعب الصحراوي محروم اليوم من الحق في الحصول على أرض يعيش فيها بسلام وحرية» على حد تعبيرها.

وقد سبق لقناة الميادين، الطعن في الوحدة الترابية والتهجم على المغرب، تحديداً في 01-12-2013، عندما بثت تقريراً مسيئاً للوحدة الترابية للمغرب، الذي اتهمته باحتلال ما أسمته الصحراء الغربية، بتغطية مغرضة تفوح منها رائحة التحامل والانحياز.

استفزاز

وفي إساءة أخرى أكثر رسمية هذه المرة، استفز سفير إيران بالجزائر رضا عامري المغرب بشكل كبير، في 17-02-2015، عندما أبدى تأييد بلده لموقف الجزائر من قضية الصحراء، وأشاد بـ«المواقف الثابتة للجزائر تجاه القضايا العادلة ومنها قضية الصحراء، لدعم الحلول السلمية لكثير من الأزمات».

وفي يناير 2017 تم اقتطاع الصحراء من خريطة المملكة المغربية خلال حفل افتتاح المؤتمر الدولي للحوار الثقافي بين إيران والعالم العربي في مدينة قم، وأيضاً في حفل الاختتام بمدينة مشهد، فضلاً عن رفع علم ما يسمى «الجمهورية الصحراوية»، حيث عرض المؤتمر الذي أشرفت عليه وزارة الثقافة الإيرانية خريطة المغرب مبتورة بشكل واضح من منطقة الصحراء، طيلة مدة الملتقى، وحضره عدد من البلدان العربية، كما تم عرض علم البوليساريو على واجهة اللافتة الرئيسة الحاملة لأعلام جميع الدول العربية.

وفي هذا السياق، يجمع المحللون على أن نظام الملالي لا يزال يستعمل التقية في علاقاته السياسية، حيث يبطن ما لا يعلن، وهو وإن كان يدعي العمل على توطيد علاقاته بالمغرب، إلا أنه يعمل في الخفاء على المساس من الوحدة الترابية للمملكة، وكذلك على نشر العقيدة الصفوية في البلاد، مستغلاً في ذلك حالة التدين والولاء التلقائي لآل بيت النبوة، لدى المغاربة.

من خلال الأحزاب والجمعيات والسياحة والثقافة والإعلام

إيران تسعى إلى التغلغل في نسيج تونس

■ التونسيون مدافعون أشداء عن استقلال بلدهم ومنع اختراقه | أرشيفية

■ تونس ـ الحبيب الأسود

لا يزال نظام الملالي في طهران يسعى إلى اختراق النسيج الاجتماعي والثقافي لتونس، ولو عبر نسج الأكاذيب مثلما حدث في أوائل أبريل الماضي عندما اضطرت الرئاسة التونسية إلى إصدار بيان تكذيب لما نقلته وكالة الأنباء الإيرانية من أن الرئيس الباجي قائد السبسي صرح خلال لقائه الجمعة بوزير الثقافة الإيراني رضا صالحي أميري بأن «إيران هي حامية العالم الإسلامي من إسرائيل»،

ويرى المراقبون أن طهران تحاول استغلال الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الصعبة في تونس لتوسيع دائرة نشاطها التخريبي، إلا أنها سرعان ما تصطدم في كل مناسبة بيقظة منظمات المجتمع المدني وبعض القوى السياسية.

ويضيف المراقبون أن نظام الملالي عمل منذ يناير 2011، تاريخ الإطاحة بنظام الرئيس السابق زين العابدين بن علي، إلى استغلال حالة الفراغ السياسي والأمني إلى التغلغل في المجتمع من خلال بعض الأحزاب والجمعيات والنخب الثقافية والأكاديمية بواسطة المال والاستضافات والمنح الدراسية والترويج الإعلامي، إضافة إلى الشعارات «الثورية الممانعة» التي تسعى إلى تصديرها إلى دول المغرب العربي ومن بينها تونس. وكانت الرابطة التونسية لمناهضة المد الشيعي (منظمة غير حكومية) اتهمت المركز الثقافي التابع لسفارة إيران بتونس بنشر المذهب الشيعي في تونس، وطالبت الحكومة بإغلاقه «فوراً». وقال أحمد بن حسانة رئيس الرابطة «ندعو الحكومة إلى الإسراع فوراً بغلق المركز الثقافي الإيراني الذي يعمل على نشر المذهب الشيعي في تونس ضمن مخطط محكم، وإلى إيقاف كل البرامج الحكومية المشتركة بين تونس وإيران في مجالي التبادل الثقافي والتعليمي» وفق تعبيره.

نشر التشيع

وأوضح أن هذا المركز «يعمل بالاشتراك مع الرابطة التونسية للتسامح (جمعية غير حكومية) «على نشر التشيع في تونس عبر مخطط يقوم على رصد الأموال وتجنيد الأشخاص وتكوين خلايا نائمة ذات ولاء لإيران ولمراجع شيعية تشتغل حسب أجندات صفوية عنصرية»، لافتاً إلى أن هذه الجمعية «في ظاهرها منظمة ثقافية وفي باطنها عقائدية مندسة في المجتمع المدني، ذات ولاء لدولة إيران وأهدافها معادية لهوية تونس السنية المالكية» محذراً من «زرع الفتنة الطائفية» في البلاد.

وبالمقابل، بين تقرير حول «الحالة الدينية وحرية الضمير في تونس» أن 54٪ من التونسيين يعارضون انتماء التونسيين للمذهب الشيعي، ويرفض 88٪، تحول التونسي السني إلى المذهب الشيعي، لذلك لا يبدو مستغربا أن تتأسس سنة 2012 «الرابطة التونسية لمناهضة المد الشيعي في تونس»، التي طالبت الحكومة التونسية بإغلاق المركز الثقافي الإيراني الذي يشكل الذراع الثقافية والدينية لإيران في تونس.

وشهدت تونس خلال فترة حكم الترويكا بقيادة حركة النهضة ذات المرجعية الإخوانية، حالات عنف ومصادمات بين عناصر شيعية وأخرى سلفية في عدد من المدن مثل القيروان (وسط) وبنزرت (شمالاً) وقابس (جنوباً).

يقول المحلل السياسي منذر ثابت لـ«البيان» إن «إيران تستغل جيداً عدم وعي نسبة مهمة من أبناء المغرب العربي بطبيعة الصراع القومي العنصري الذي يتزعمه نظام الملالي ضد العرب تحت غطاء طائفي، كما أنها تستفيد من بعض التناقضات السياسية في المشرق العربي لتقديم نفسها للشمال الأفريقي على إنها تقف ضد التطرف والإرهاب وضد الكيان الصهيوني وضد هيمنة الغرب، في حين أنها تعتمد تلك الشعارات للتغلغل واختراق النسيج الاجتماعي والثقافي».

اختراق سياحي

وحاولت طهران اختراق المجتمع التونسي من خلال السياحة الدينية، وخاصة للمزارات المرتبطة بتاريخ الشيعة في المنطقة، حيث يجمع المؤرخون على أن المذهب الشيعي عرفته تونس مع تأسيس الدولة الفاطمية سنة 899م ثم جاء تأسيس المهدية (تقع مدينة المهدية على بعد 250 كلم جنوب شرق العاصمة تونس) سنة 910م على يد عبيد الله المهدي حين انطلقت أساطيله وجيوشه لبسط نفوذها على كل بلاد المغرب وجزر المتوسط وغدت المهدية العاصمة السياسية والاقتصادية والثقافية لبلاد المغرب قاطبة، على حد قول أستاذ الحضارة في الجامعة التونسية ناجي جلول.

وحسب رأي أستاذ التاريخ بالجامعة التونسية محمد ضيف الله فإن «نظام بن علي ربط علاقات اقتصادية وثقافية متينة مع النظام الإيراني، حتى بلغ التبادل التجاري 120 مليون دولار وتكثفت زيارات رجال الثقافة والدين الإيرانيين إلى تونس، وللمحافظة على متانة تلك العلاقات تغاضى النظام القائم عن التبشير الشيعي».

وبحسب مراقبين، سعت إيران إلى إحياء تاريخ الشيعة في تونس من خلال الترويج السياسي وهو ما عارضته بعض الأطراف السياسية التونسية التي رفضت توقيع الحكومة اتفاقيات عدة لتعزيز التعاون السياحي مع إيران، من بينها إنشاء خط جوي مباشر، وبرنامج تنفيذي للتعاون يتم بمقتضاه استقطاب 10 آلاف سائح إيراني خلال سنة 2016.

ويحذّر الكاتب والمحلل السوري ثائر زعزوع من فتح أبواب تونس أمام السياح الإيرانيين، وقال «يعرف العراقيون والسوريون المعاني الحقيقية لجملة السياح الإيرانيين، فهم قبل غيرهم واكبوا ظاهرة تلك الوفود السياحية التي ترسلها طهران لتتحول مع مرور الأيام إلى ما يشبه الغزو أو الاحتلال، فالسياح الإيرانيون لن يكتفوا بالاطلاع على ما يضمه البلد الذي يقصدونه من معالم سياحية، وسوف يسعون جاهدين لإقامة أماكن خاصة بهم بل وحتى أسواق تبيع منتجاتهم».

الإخوان والخميني

ولعل أبرز موقف من الثورة الخمينية بإيران في المغرب العربي -بعد موقف الجزائر الرسمي- كان تأييد حركة النهضة وزعيمها الغنوشي لثورة الخميني والاحتفاء بها. وفي الثمانينيات كان يطلق على أعضاء حركة النهضة في تونس «الإيرانيين».

ومنذ سنة 1990 أعادت الدولتان علاقتهما الدبلوماسية، وتجسد تطور ونمو علاقتي البلدين في عديد من المجالات، حيث تم إنشاء لجنة مشتركة دائمة تنعقد كل ستة أشهر برئاسة نائب الرئيس الإيراني والوزير الأول التونسي، أي بمعدل اجتماع سنوي في كل عاصمة. ويقام بشكل متزامن مع انعقاد اللجنة الدوري منتدى سنوي يضم عددا كبيرا من رجال أعمال الدولتين، يرى مراقبون أن نظام بن علي سعى إلى تطوير علاقته بإيران لضمان عدم مساعدتها لجماعة الإخوان وبخاصة حركة النهضة التي دخل معها في مواجهة أمنية في العام 1990 بعد الكشف عن محاولاتها الانقلاب عليه.